٣ الموقف الملحمى والموقف الدرامى أو القصصى

معلوم أن الملحمة[١] سابقة فى الوجود على المسرحية ، وأن القصة فى معناها الفنى قد تأخر ظهورها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى . وقد رأى أرسطو –

(١) اصطلح فى الآداب العالمية على أن الملحمة قصة بطولة تحكى شعراً ، وتحتوى على أفعال عجيبة . وحوادث خارقة . وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب ، ولكن الحكاية هى العنصر الذى يسيطر على ما عداه ؛ على أن الحكاية لا تخلو من الاستطرادات وعوارض الأحداث : وهى فى ذلك تفترق جوهرياً عن المسرحية أو القصة فى معناها الحديث . ولم تزدهر الملحمة إلا فى عهود الشعوب الفطرية حين كان الناس يخلطون بين الخيال والحقيقة ، وبين الحكاية والتاريخ . وفى الملاحم يتغنى الشعب بآيات بطولة أسطورية تتصل بعقيدة الشعب أو بوطنيته . وللملحمة أصل تاريخى ، ولكنه مختلط بالأساطير والخرافات والعجائب ، وغارق فيها . وفيها تنشد الشعوب الفطرية مثلها الأعلى فى ماضيها . وفيها تظهر بطولة الفرد يمجدها الشعب الذى يظهر لا وزن له أمام البطل ، فلا يذكر إلا بمناسبة ذكر الضحايا التى يسحقها البطل ، أو كأنه أدوات لعظمة ذلك البطل . فحرب طروادة سببها خطف هيلين امرأة منلاوس ، وموضوعها غضب أخيليوس ونتائج هذا الغضب . والبطل يعتزل الحرب الوطنية لاغتصاب أجاممنون لأسيرته «بريزيس» ، ويأبى أن يعود للحرب – فى حين يعانى جيشه الهزائم – إلا على أثر قتل صديقه باقر وكلوس . والأبطال فى الملحمة ذوو نفوس قوية ، ولكن صورهم ساذجة تتجاوز فيها الغلظة والعنف مع الرحمة . فبعد أن يقتل أخيليوس هكتور يعتزم التمثيل بجثته ورميها للكلاب ؛ ولكن سرعان ما يرق حين يتقدم إليه الشيخ بريام ، والد هكتور ، فيبكى ، ويسلمه جثة ابنه . وكل قوة فى الملحمة شخصية فى صورة آلهة أو قوى غيبية : فالصاعقة جوبيتر ، والبحر نبتون ، والنار فولكان ، والحب فينوس . وتلك سمة من سمات العقلية الفطرية . وأهم ملحمتين فى تاريخ الآداب العالمية هما:ملحمة الإلياذة ، وملحمة أوديسا ، لهوميروس . وفى العصر الحديث قد ماتت الملاحم فى مفهومها القديم . وفى الأدب العربى لم توجد الملاحم إلا فى الأدب الشعبى ، كملحمة « الزير سالم » ، وهى مأخوذة عن حكاية مهلهل بن ربيعة فى حرب البسوس ، وكملحمة أبى زيد الهلالى ، والظاهر بيبرس ... وليس هنا مجال شرح تطور مفهوم المأساة ، وبيان أسباب موتها فى الآداب العالمية .